

## ناصر قنديل

حديث الجمعة هذا الأسبوع غنيّ بالصباحات المهداة. كلَّ يوم ـ إلى رمز أو مدينة أو حدث مجيد ـ وفي المختصر، ما هو مفيد من الحديث عن فقدان تركيا ورقة «داعش»، والسعودية ورقة «النصرة» ـ. ومن «قالت له» و«رياضيات في الكلام»، ننقل إلى الزوايا المتنوّعة التي يكتبها أسبوعياً أصدقاء وصديقات.

### مختصر مفيد \*

## تركيا تفقد ورقة «داعش»... والسعودية تفقد «النصرة»

الرب على الإرهاب، والفوز بها وبسورية معاً، يجتهدون لضمان يد لهم في الجغرافيا السورِيّة تمنحهم وزناً في التسوية. ولذلك يقودون حملة الرقّة على «داعش» مع من حضر معهم من قوى سورية كردية وعربية، ويسلسون للروس حملتهم لفصل «النصرة» عن «المعارضات» التي ترعاها السعودية وتركيا. أملاً بحفظ هذه «المعارضات». وبالحصيلة، عين الأميركيين على صيغة حكم جديد لسورية يخوضونها انتخابياً على الرئاسة، ويخوضونها قبلها عسكرياً على«داعش»، وبينهما سياسياً على مضمون الدستور الجديد والعبث بمضامين توزيع الصلاحيات والمناصب وزجّ الطائفية فيها، لكن شرط أن تخسر السعودية «النصرة» وأن تخسر تركيا «داعش».

● سورية وحلفاؤها واثقون من أن سقوط «النصرة»«داعش» نصف حرب سورية. واثقون من أنه من دونها سيسقط حصان الرهان على العبث السياسي والأمني والعسكري وكذلك الانتخابي، ولا يخشون بعدها من عملية سياسية تنتهي في صناديق الاستفتاء على دستور جديد، والافتراق لرئيس وبرلمان. فالشعب السوري الذي يخوض الحرب وراء جيشه ورئيسه ودولته المدنية سيرعف كيف يحفظهم ويتمسك بهم في وجه الخداع والمؤامرات والتلاعب الإعلامي.

**ناصر قنديل**

\* ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق»التونسية و«الثورة» السورية.

## قالت له

قالت له: أحسّ في قلبي حزناً عميقاً وكأنّ جبلاً يربض على صدري، وقلعاً غامضاً يتسلّل ويسكن نفسي. ورغم كلّ حني لك أحسّ بذك. فهل فيه شك أو ضعف أو أصابه وهنّ؟

قال لها: هل لما يحدث في بلادنا وما يصيب حياتك كأيّ حياة متعدّدة الميادين والوجوه من متاعب صلة بذلك؟ أم تشعرين بذلك من نافذة الحبّ وحدها؟
فقلت له: شدة الألم والحرارة أنني لم أعد أعرف ما هو المصدر، حتى بتّ تائهة في بحار التحليل والقلق. والنوم صار مشهّباً فراش لا إغفاء عيون. وأنا التي كان النوم يداينها بلا موعد فتفتحو كطلف صغير.

فقال لها: الحزن نعمة لا تزيّنها. فافتحي لها الأبواب عندما تطلّ. خصوصاً بمشاهد موكب موت جليل. وقلق المصير العام يصير خصوصياً عندما يجتاح العقل، وبلا انتباه يطغى على حجرة نومنا، ويطول أشيءنا الصغيرة. فالنفس تحترق الأحران وتعيد توزيعها وتجمع ينبابيع القلق وترمي بها حزناً وقلقا في ساجاتنا الخاصة، حيث تنقّ بقدرتنا على الامتصاص والتأقلم. لكن ورعي همومك ثلاثة: هموم تافهة وقولي لماذا ستشعرني بالحزن والقلق؟ وارميها جانبا. وهموم تستطيعين السيطرة عليها، ولا تتردّي في فعل ما يجب لوضعها في قطار الحلول لو الحلحلة. وهموم لا حلّ لها، فتأقلمي معها وتعايشي حتى تحين ساعة تصغر فيها، أو تكبر لملاقاتها مقدراتك.

فقلت: ولماذا تطلّ أنت في كلّ هذه الهموم مرّات كسبب لقلق ومرّات كجواب للسكينة؟

فقال: لأن الحزن والقلق مصدر للشعور بالوحدة، وسؤال عن صدقية الشعور بالقد. وأول من تنتقدك ونسأله عن صدقيّة حضورهم، الأحبّة.

فقلت: وكيف أشتري بعضاً من السكينة أو المسكّنات؟

تأمّل عينيها ودعّة تطفو على بحرها وقال: أن تنظري إلى داخلك وتتساءلي ماذا يملك الفرحون أكثر ممّا تملكين، وستري أن ما عندك أهمّ وأعظم. واخرجي من مقولة ما يقول الناس في ما تغلين، بل تحققي من صحتة ما ترين وصدق، وآخر الدواء الكي، أن تتساءلي كيف تُنشئين عوالمّ للسعادة لا تنطبق على الظاهر. فعميق السعادة كلّها، لا يطفو على السطح ويختبئ في المحار. وعندما تكتشفين محارثك واللؤلؤة فيها، تهزئين بعوالمّ الفرح التي يدعيها الغير، وتتأسس على المظاهر والخداع والوهم لأن أصحابها غالبا مهتمون أن يقول عنهم الناس إنهم فرحون. وتسليح بالابتسامة لأن أصعب الآتي هو الموت، وهو حقيقة، وما سواء دونه وأقلّ حتمية حدوث منه. فكيف ندعي مواجهة الموت بالتسليم والابتسامه وتصرّف كأنه غير آت وهو سيأتي من حيث لا نعلم وفي حين لا نعلم؟ وننتهيه ما نفتقرض أنه آت وهو قد لا يأتي؟ فتبسّمت وقالت: سأحتفظ بك مفتاح فرحٍ ولو سقطت من صّفحاتي كسيدّ للحبّ.

فقال: ولماذا هذا الهدوان؟

فقلت: كلّ القضية أنني أردت أن تفهم. وما فهمت. فانا أغار عليك من غزل أخريات رأيتهن في منامي، وقرّرت أن أخرج بسلام من قلقي بالأ احتاج إليك، فزدتني حاجة إليك.

وصمّته ورمت ثقل دمعتهما على خديه.

## أنا وأنت

علينا أن نلتقي. مضى زمن طويل كنتّ فيه مشغولاً.

كيف الحال؟ الحياة لا ترحم والظروف تزداد تعقيدا. المهم عشاؤنا مساءً في مكاننا المفضل. أحيّ ارتشاف القهوة تحت ضوء القمر.

كيف العمل؟ عندي ما أخبرك به: سيكون قاسياً لكنه ضروري. لا أعرف كيف وصلنا إلى... لحظة. لنتقي بعد أربع ساعات. كيف الأهل؟ لماذا لا نتكلمين؟
- حسنا، لنتقي على العشاء في المكان والزمان اللذين تريدهما.
- لم تسألني الهزيمة إلى أجوبتك مؤخرا؟ توري. اعترضني. قوّة شخصيتك كانت أجمل ما فيك. لا يهيمّ. إلى اللقاء. انتظرك.

تحت سماء البدر المتألق، جلس في المقهى القديم على شاطئ البحر. كلّ شيء حوله تغيّر. اثاث المقهى والعمالون فيه. هاجمته الذكريات فجأة. هنا اعترف بحبه. هناك تبادلإ عهدا وأحلاماً. وسعادة وضحكات. وفي تلك الزاوية المنعزلة المظلمة، يكتع على كتفه دموعا تستجديه البقاء. رجف قلبه عندما لاستت نسانم البحر المنعشة وجهه. صمته. كم مضى على اللقاء الأخير؟ سنة، لاسنتان؟ يا للهي أكثر من ثلاث سنوات! تنبّه للوقت، نقض عنه غبار الماضي وعاد إلى ترتيب الأفكار. سأيذا بكلمات رقيقة، العشاء «سلطان ابراهيم» فهي تعشق الأسماك. ساستمع لجديدها وما لديها من أخبار. وأقدّم لها هذا الشال الحريري، فالهدايا الهيمية تُفرحها. عليها تفهّم ظروف عملي وأسباب انشغالي وموجبات الانفصال. سأتحمل دموعها ورد فعلها. أرجو ألا يعلو صوتها في المكان. ليست النهايات السعيدة واجبة في كل العلاقات.

نظر إلى ساعته، تأخرت قليلاً. كان من عادتها احترام المواعيد. كل شيء تغير. عليها أن تفهّم ظروفي. عليها ذلك.

تدخل من باب المقهى جميلة أنيقة كما عهدها. تقترب نحوه بكلّ هدوء. شعرها الطويل الداكن يغطي وجهها البشوش. ويعينين تشعان أملا ولطفا تنظر إليه. تمدّ يدها الناعمة للسلام. وتعرفه، زوجي «أحمد»: زميلي في العمل ووالد ابنتي «منى». وأشارت إلى طفلة ذات سنتين ترضض ضاحكة في أرجاء المكان. ثم أردفت: شكرا على دعوة العشاء. كم جميل أن نجتمع أنت وأنا بعد طول انقطاع!

#### رانيا الصوت

## حديث الجمعة



## صباحات

● في حضرة جلال الموت وموكبه المهيب، وحضرة أوجاع طرطوس أمّ الشهداء خلال خمس سنوات الصمت هو الأبلغ. بعض الأصوات المحبة والموجوعة يريحها الصمت كي لا يوقعها في التلعثم بالأحرف وتركيب الجمل إلحاح الكلام.

كأنّ نعلم من يومها حجم ما نحن فاعلون. فلن يمر بعده يوم بلا حروب وبلا شهداء ودماء، فقد غيرت قبضاتنا ودمآقنا وبنادقنا وعزيمة شباب بدأوا فرادى وهدمهم ينسجون من عتم الليل خيوط فجرنا الجديد ويحيكون من بعض أناملهم وأرواحهم ثوب عرس للوطن، وستغير تاريخ المنطقة والعالم وستحمل لثبيتها، أن يحاربنا كل الذين يمسكون بأعناق الأحرار ويدوسون رقاب الشعوب بأقدامهم ويتهكون سيادة أمتنا وينهبون ثروتنا. وكنا نعلم أنهم سيجلبون الأفاعي وأولاد الأفاعي من كل الدنيا لقتالنا بالف لون ولون كي لا يصدق الفقراء والضغفاء أن ما فعلناه قابل للتكرار في كل مكان وزمان، إذا توفرت قضية الحق وتوفّرت لها قبضات تحميها ودماء ترويها، فنزهر في فنزوليا على يد شافيز، وفي فلسطين يخرج شباب السكاكين وصبايا الحرين، وفي ربيع مسروق يخرج الشارع العربي وسيخرج مجدّداً ما دامت سبابة سيد هذه المقاومة تفقأ عيونهم ويؤرّق صوته ليلهم. وحذار من ارتدادات 25 أيار في 7 مثلاً يا فؤادي ولو بعد ثمان سنوات رداً على حرب تريد اقتلاع شبكة الاتصالات التي عجزت عنها حرب أيار وتومز. وحذار من تكرار 17 الذي اقتلع من جذوره ومن 27 قد يأتي وربما 37 أو 47 أيار بحسب لغة البورصة وأسعارها. إذا واصلت مصارف العار اللعبة الجهنمية في إفقار شعب المقاومة. كل سنة وأنتم بالف خير، وصباح الخير لعماد ومصطفى وسائر الجمع المقدّس.

● عروس البحر حزينة، فالشاطئ الذي ولدت فيه حزين، من أو غاريت حتى عمق البحر، دم ودموع ووجع طرطوس يصيب كبدها وجبلة تنتفس من رثتها والدمع الأسود ليس من عاداتها، فهو دمع انتقام خارج الزمان والمكان، وهي تنتمي إلى زمن الفروسية والبطولة، حيث تتقن القتال وتمتق القتل، تريح الحروب و لا تترك الخراب، يسقط برمأحها قادة جيوش لا أطفال ونساء وشيوخ. كيف وهي تشمّ رائحة الفتنة وتعلم أن جنبة ترعت في المستنقعات لا تعرف نقاء ماء النهر ولا ضجيج موج البحر، هي التي أبكت طرطوس وجبلة وتريد لفرسان البحر أن يضلوا الطريق وتضيع أخلاقهم وتتلوّث سيوفهم بالدم الحرام والدمع الأسود. عروس البحر تعرف ألم فراق الأحبة وتبكي دمعاً ناصعاً كحبات الماس، وتستجمع قواها لتتشنّ حرباً لا هوادة فيها على كل الغفاريات والأفاعي. فحيث يعاقب قاتل يعاقب كلّ القتل، وحيث ينصف مظلوم تنتقم لكل مظلوم. وحيث يتسفيق الشهيد ويحكم له بالحق يصير سيف الحق بريق نور في أيدي كل الفرسان. صباح الفروسية لجيلة وطرطوس وسألح أوغاريت، حيث كتبت ملاحم البشرية خلال آلاف السنين. وستبقى كتبت بدروس مدرسة الفروسية.

● عندما أطلّ بإبتهامته يلقي التحية، طلّت عذارى البحر والبرّ والماوراء في غيب الغيب أنّ صاحب الحصان الأبيض قد ورد إلى موئلها يتلو قصائد الغزل. بينما كادت الأرض وحدها تقطنها وجهها بغمام قمع وغلال زيتون ودماء الشهداء، تعلم أنه عيدها، وأنه آت إليها ليحتفل، وأنه غير كلّ الفرسان لن يدع اليوم الذي صنع فيه الشهداء الذين تنشقوا هواءها وشرّبوا ماءها وتعلموا معه البطولة تاريخاً جديداً كتب بحبر أحمر قان، إلا ويضيف سطرأ من بحور شعره. فكانت تنتظر بصمت والعذارى ليسبن أحلى الحلل. فجعلت الأرض منهن جوقة احتفال وحناء عماسفير الجئة لعزف نشيد الشهداء، والخيول لداء تحية السلاح، وقدمّت فرقة من سنونوات الحقل سنابل مثقلة بجبات قمع مذهّبة على مائدته، قبل أن يبدأ الاحتفال. وفي لحظة الحضور أمرت بالصمت المبين ليستمع الجمع إلى سيّد السنين. وقالت جفا السيد فأنصتن جميعاً. وقل وصال وجال وخنم.

لا يموت حق وراءه مطالب ولا يظلم الحق من غير سالبه. والحق يطلب بالسيف لا باللسان وقد شرّعنا سيوفنا السنة حق تسابق الزمان. انتهى الاحتفال وإلى اللقاء مع غلال جديدة في حصاد جديد.

● العلم هو أعطية العقل الذي وهبه الله ليكون أداة البشر الوحيدة لردّ سلطان الطبيعة من زمن الطوفان والبركان والزلازل، وأصل قدرة العلم الجبارة مزدوج أنه يجعلنا نعرف ومن المعرفة نتعرّف أين نقطة ضعف القوة التي ترعبنا، ومن أين نتمسك بها. وبالمقابل يمنحنا العلم فرصة تطوير أدوات من الطبيعة نفسها ومن معادنها وأخشابها وقطنها ونفطها، ليصحب بترآكم المعارف مع الأجيال آلات وتقنيات للتدخّل لرّد القهر الذي يبدأ بطغيان قوّة الظواهر الطبيعية المفاجئة، لكننا نستصير أدوات ومعارف يملكها من يستعملون العلم لمعرفة نقاط ضعف البشر في مصادر قوّتهم، وهي الاجتماع في مدن وأوطان. ويستعملون الأدوات التي طوّرتها المعارف نفسها للسيطرة على هذا الاجتماع. بالعلم والمعرفة نفهم ونمسك قوانين الظواهر ونصنع أدوات التدخل فيها. يصحّ في الحرب ويصحّ في الطبيعة ويصحّ أيضا في الفتن، ولكنه إن اتقناه يصلح في الصداقة والحبّ.

● سئل معمرّ فآق المثة من السنين كم عمراً تريد لكتاية ستين مؤلّفاً كالتي كتبتها الجاحظ؟ فقال مئة عمر ربما. وقيل له ولتصنع شيئاً من عبقرية أديسون أو آينشتاين؟ فقال ربما مئتين. ولتنتج ما أنجز أبطال المقاومة كعماد ومصطفى؟ فقال ألفا وأكثر. فقال الصباح لا تضيعوا أعماركم وأنتم تدّونها أياما وسنين، بل احسبوها بالإنجازات. وأول الإنجاز الزهد بالعمر. وأوّل القوّة إرادة، وأوّل الإرادة العلم. وبسواهما أنتم واهمون. فكل مال الفراغة وذمّهم لم يبين هрма واحدا لولا العقول. وكلّ مال «إسرائيل» وسلاخها لم يريح حربيا عندما وأجهتها العقول التي تفوّقت على العقول.

● الحبّ مدرسة لا حالة. ولا يعيشه حالة إلا من كان من طلاب مدرسته يرتقي حتى يصير أستاذاً فيها. ولا يعيش خصوصية الحالة إلا من تنفس قيم المدرسة في العام قبل أن يلتفت إلى الخاص. تتحقّقوا من مقدرة من يدعي حيّكم إن كان على مقدرة أن يحبّ الأرض ويحبّ الناس ويحبّ أمه وأباه وأخوته وزملاءه، قبل أن تأخذكم الكلمات المتقنة والمزخرفة إلى وهم حبّ هو عبودية أو رغبة أو نزوة أو تطلع لتملك وأنانية البحث عن استكمال شروط تنعمّ الذات بالاستقرار. وعندما تجدون من يعيش مدرسة الحبّ بين يفتي قلب دافعيّ يفيض حنانا وعيون سبلة المدامع لسواكم قبل أن تكون لكم، تكون اللحظة التي تستحقّ منكم ألا تتباطأوا لإغلاق نوافذ أذانكم أمام كل رباح الدعوة للتمهل والتباطؤ بداعي دراسة الظروف والأحوال، لأنكم وقعتم على كنز نادر يحسدكم عليه من يعرفون معنى السكينة، وشرورة لا تقدر بثمن ولا بقيمة ولا بجاه. ستغنيكم عن العالم كله إن احتجتم وضعفتم وأسودّت في وجهكم الدنيا، وستعرفون من بحر سعادة لا قعر له متى أزهرت بسائين الفرح.

## رياضيات في الكلام

● كلّ ما ننفقه من وقتٍ انشغالاً بافتراضات رصيد، يسحب من عمرنا الحقيقيّ ليصير عمرا افتراضياً.

● لا يزيد المال لصاحبه تمتعاً بنكهة الطعام ولا شمّ رائحة العطر ولا صوت الموسيقى واليران قوس الفرح، ولا بفرحة الجسد في الحب. يتساوى الناس وهم لا يعلمون لأنهم يعيشون عالم المظاهر. متى زاد المال عن حدّ حفظ الكرامة صار الكولون الزائد أثقالاً يحملها وليست لنا.

● الشهادة للحقّ البائن شجاعة عندما تخصّ من يخاصمنا. حتي الموت أوْمَن له في القلب مكانة معلومة... عندئذّ ندرك معنى القول إننا لا نخشى في الحقّ لوم لأنم.

<sup>[1]</sup> حديث الجمعة هذا الأسبوع غنيّ بالصباحات المهداة

<sup>[2]</sup> وفي المختصر، ما هو مفيد من الحديث عن فقدان تركيا ورقة «داعش»، والسعودية ورقة «النصرة» ـ

<sup>[3]</sup> ومن «قالت له» و«رياضيات في الكلام»، ننقل إلى الزوايا المتنوّعة التي يكتبها أسبوعياً أصدقاء وصديقات